محاضرات مقياس: منهجية كتابة التاريخ الإسلامي

سنة أولى ماستر: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

د/سناء عطابي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

Attabi.sana@univ-guelma.dz

محاور المقياس[1]:

1/- المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام

2/- عوامل تبلور الفكر التاريخي عند المسلمين:

- أثر القرآن الكريم على الفكر التاريخي عند المسلمين
- الحديث النبوي الشريف وميلاد علم التاريخ
- الإسرائيليات (الموروث الديني العبري)

3/- مدرسة المغازي في المدينة والشام

4/- مدرسة العراق (الكوفة والبصرة وبغداد)

5/-المدرسة المصرية

4/- مدرسة العراق:

أخذ العراق شأنا كبيرا منذ فتحه واستقرار العرب به، وزادت أهميته منذ أن انتقلت العاصمة من المدينة إلى الكوفة وأصبح مركزا للأحداث السياسية الهامة، وأخذت هذه الأهمية في البروز والتطور بعدما تمكن آل عباس من افتكاك الحكم من يد الأمويين، هذا الأمر ساعد على بروز المهتمين برواية ثم تدوين هذه الأحداث بطرق وأشكال متعددة وعن طريق أعلام وتلاميذ اهتموا بجمع هذه الأخبار ونقلها، ما أدى إلى تكوين سلسلة ومنهج دقيق في المعرفة التاريخية.

قبل التفصيل في هذه المسألة لابد من الإشارة إلى أن هذه المدرسة اختلف نمط المعرفة التاريخية عما كان سائدا المدينة، فقد سلكت الاتجاه القبلي المستنبط من الثقافة التاريخية المتوارثة عن فترة ما قبل ظهور الإسلام والمعروفة "بأيام العرب"، بالإضافة إلى النمط العالمي اذي ظهر مع المؤرخين الكبار، ويعتبر الفارق بين المدرستين أن هذه الأخيرة نمت في بيئة تملك

[1]- محاور المقياس اجتهاد شخصي نظرا لعد ورودها في مقرر الوزارة الوصية.

موروثا حضاريا هاما أخذت منه أساطير وحكايات كانت لبنة للقصص التاريخي، كما تظافرت عوامل أخرى لتأسيس مدرسة العراق بثقلها الفكري والتاريخي:

- انتقال العاصمة نحو الكوفة في خلافة علي ين أبي طالب وبالتالي الثقل السياسي أصبح في العراق.
- تأثير الفكر القبلي وأمجاد القبيلة على ذلك.
- مسألة الإمامة والخلافة وظهور الأحزاب السياسية (معارضة فكرة الدولة التي جاء بها الأمويون).
- التصادم بين مبدأ القدر أو حرية الإرادة، ومسؤولية البشر في الشؤون العامة.
- فكرة الأمة (التاريخ العالمي بدل القبلي).
- مجالس السمر التي كان يعقدها قادة الفتح بعد معاركهم في المناطق المفتوحة، وما كان يروى فيها عن بلاء الرجال في تلك العمليات، وكان الحديث يأخذ طريقه للحديث عن المغازي، فضلا عن ذكر بعض أيام العرب قبل الإسلام والمذاكرة في أبطالها.
- توزيع العطاء وقيامه على الأسبقية في الإسلام والبلاء في المغازي والمعارك، مما استدعى البحث والتحري بدقة في أخبار المشاركين والفاتحين وتاريخ العرب والمسلمين عموما.
- الرد على الاتجاه الذي حاول الانتقاص من قيمة العرب، عن طريق ما عرف بأدب المثالب، مما دفع العرب إلى جمع أخبارهم وآثرهم للرد على هذه النزعة.
- ظهور اللحن في اللغة العربية بسبب دخول العناصر غير العربية واستعمالها لهذه اللغة، مما أدى بالعرب بالبحث في ماضيهم وأشعارهم للتأكد من بلاغة مفرداتهم وخلوها من الأخطاء، هذا ما أدى إلى توثيق الصلة بين التاريخ والأدب فأصبح مصطلح الأديب يطلق على كل متبحر في التاريخ ومستفيد منه في الشعر والمفردات البليغة.

أ/– الرواية التاريخية في البـ ـرة والكوفة:

تنوعت اهتمامات مؤرخي المدرسة العراقية رغم اهتماماتهم بالتواريخ العامة والأنساب، أكثر من السير والمغازي، ولكن هذا لم يمنعهم من الكتابة في هذا النمط من التاريخ بل كان تأثير رواده كبيرا خاصة بعد انتقالهم إلى منطقة العراق، فنجد:

- معمر بن راشد البري (ت150هـ/767م) بصري تضلع في علم الحديث والسير.
- محمد بن سعد أبو عبد الله (ت230هـ/844م) بصري انتقل إلى المدينة ثم بغداد، تلميذ الواقدي كان يعرف بـ: "كاتب الواقدي" صنف الطبقات الكبرى وأخبار النبي.
- ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد أبو بكر العبسي الكوفي (ت235هـ/849م) كوفي من رواة الحديث روى عنه البخاري وذكره في كتابه التاريخ الصغير والكبير.

وقد اشتهر رواة هاتين المنطقتين بالإخباريين.

أ/1– دور الإخباريين للتأسيس لمدرسة الكوفة والبـ رة:

لقد تأثرت المدينتين الجديدتين بالأحداث التي عاشتها الخلافة الراشدة في بداياتها، وبمختلف الفتن والحروب التي تعرضت لها، كما استفادت من انتقال العاصمة إليها خلال خلافة علي بن أبي طالب، كل ذلك ساهم في تذكية الصراع الحزبي والقبلي في المنطقة، ولم تكن الرواية التاريخية بمعزل عن ذلك بل تأثرت وأخذ نموذج جديد من الرواة سمي بالإخباريين يعمل على جمع الروايات التاريخية من العائلات والقبائل ومختلف الأمصار لإعطاء صورة متكاملة عن قصصهم مثل: المدينة، الشام، الجزيرة العربية، خاصة فيما تعلق بأحداث الفتنة وصفين والجمل وانتقال الخلافة إلى الأمويين ولم يهمل الإخباريون الوثائق الرسمية من سجلات الدواوين الإدارية والحكومية.

ويبدو أن التطورات التي ميزت النصف الثاني من القرن 2هـ/8م أدت إلى اختلاف الرؤى التاريخية والأهداف من الرواية التاريخية لدى الإخباريين، فالشعوبية والصراع القبلي أفرز الاهتمام بالأنساب خاصة الأشراف منهم، ليؤكد العرب على استمراريتهم الثقافية والفكرية.

ومن الناحية الفكرية التقنية برزت أفكار متعددة مثل: تجارب الأمم ووحدتها، فكرة التاريخ العالمي، فكرة تاريخ الموالي، فكرة تكامل الرسالات ووحدة الرسالة الربانية.

ومن أشهر رواد هذه المدارس:

- سيف بن عمر الكوفي الأسدي التميمي (ت180هـ/796م) كوفي له كتاب الفتوح الكبير والردة، كتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلي...
- عوانة بن الحكم بن عياض بن وزير بن عبد الحارث الكلبي (ت148هـ/765م) كوفي له كتاب التاريخ وسيرة معاوية بن أمية...
- نصر بن مزاحم أبو الفضل (ت212هـ/827م) بصري له: كتاب صفين، كتاب الجمل، كتاب مقتل عدي ومقتل الحسين...
- المدائني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف أبو الحسن (ت225هـ/839م) كوفي له كتب كثيرة منها كتاب في أخبار النبي، كتب في اخبار الخلفاء، كتب في الفتوح...

أ/2– النسابة من أهم رواد مدرسة الكوفة والبـ رة:

يعتبر علم الأنساب فرعا مهما من فروع الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين، ذلك أن العرب اهتمت بأنسابها منذ العهد الجاهلي، وأخذ منحى هاما بعد اعتلاء الارستقراطية العربية السلطة، أو استفادتها من امتيازات ومناصب إدارية في المناطق المفتوحة بالإضافة إلى مشاركتها في الأحداث الهامة وبالتالي ضرورة أخذ حصتها من الغنائم والأعطيات وغيرها ما يستوجب ضبط مسألة النسب لتُضبط معها الكثير من المسائل الإدارية والمالية، كما أن مسألة العصبية والشعوبية وادِّعاء النسب الشريف وغيرها من الأمور كانت حافزا هاما للاهتمام بهذا النوع من التأليف.

إن الافتخار بالأنساب قديم عند العرب، ويعد ظهوره خلال فترة الحضارة الإسلامية دليل على استمراريته في الذهنية العربية التي تبدي دمها العربي النقي في كل مناسبة؛ ويعد اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بتدوين اسماء المحاربين وأهليهم حسب قبائلهم عاملا لإعطاء الأنساب أهمية جديدة، وكان حافزا للاهتمام بهذا الجانب الاجتماعي.

عهد عمر بن الخطاب إلى مجموعة من النسابين بوضع سجلات تحفظ اسماء المحاربين وأسرهم وقبائلهم، وهم:

- جبير بن مطعم بن عدي.
- عقيل بن أبي طالب.
- مخرمة بن نوف بن أهيب الزهري القرشي.

فقد رتب عمر رضي الله عنه بطون قريش حسب قربها من الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث بدأ بالعباس، ثم بني هاشم، ثم من بعدهم طبقة بعد طبقة مراعيا الاعتبار الديني والقبلي في آن واحد؛ وقد سجلت في الأمصار العربية وخاصة في الكوفة والبصرة ثم في واسط من العراق، وفي دمشق بالشام وفي مصر سجلات أنساب أخرى كان مركزها دواوين الجند، وكان مصير بعضها الحرق، خلال فتنة ابن الأشعث سنة 82-83هـ/691-692م.

ذكرت مصادر التراجم على غرار كتاب الفهرست العديد من الإخباريين والنسابة الذين اشتهروا بمعرفتهم وتضلعهم في هذا العلم مثل: دغفل النسابة (ت 60هـ/679م)، النسابة البكري، ولسان الحمرة، صحار العبدي والشرقي بن القطامي، صالح الحنفي وابن الكوا وأبو النصر محمد بن السائب الذي يتقدم الناس بالعلم بالأنساب (ت146هـ/763م)، والقرقبي (ت155هـ/771م) ، عوانة بن الحكم، كما أشار لبعض المؤلفات في هذا النوع من المعرفة التاريخية مثل: كتاب أخبار تميم وكتاب النسب الكبير لأبي يقضان النسابة، و كتاب النسب لسعيد بن الحكم بن أبي مريم، وقد أشاد النديم بهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت206هـ/821م) ونعته بعالم الأنساب، له العديد من الكتب في البيوتات والمآثر وهي كلها كتب أنساب وله اهتمام بنسب قريش وبطونها خاصة أهمها كتاب النسب الكبير، ويليه الهيثم بن عدي وهو من أصحاب هشام بن السائب الكلبي له بالأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب وذكر غيرهم كثير.

مؤلفات في الأنساب:

- جمهرة أنساب العرب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (206هـ/821م)
- "مختلف أسماء القبائل ومؤتلفها" لمحمد بن حبيب البغدادي (245هـ/859م)
- "أنساب الأشراف" لأحمد بن يحي بن جابر البلاذري (279هـ/892م)
- "مشتبه النسبة" لعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري (409هـ/1013م)
- "الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط" لمحمد بن طاهر المقدسي (507هـ/1113م)

- "اقتباس الأنوار" لأبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله الرشاطي (542هـ/1147م)
- "الأنساب" لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (562هـ/1166م)
- "اللباب" لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (630هـ/1232م)
- "الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب" لقطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله الخيضري الدمشقي الشافعي (894هـ/1488م)

ب/– رواد فكرة التاريخ العالمي:

مع بداية القرن 3هـ/9م أخذت مدرسة العراق منحى تاريخيا أكثر تطورا، فقد ابتعد التاريخ عن مدرسة الحديث ليصبح موضوعه شاملا للحياة العقلية والعقائد والأخلاق والآداب والعلم. وأخذت أساليب كتابته تتشعب ففضلا عن الطبقات والتراجم والتاريخ السيري فقد ظهر التاريخ الإقليمي والحولي الذي يبرز فكرة الأمة الواحدة واتصالها، وفكرة التاريخ العالمي بدل مركزية القبيلة، وأضحت هذه الفكرة الميزة الرئيسية لدى روادها، وعرف هؤلاء الرواد بالمؤرخين الكبار من خلال مؤلفاتهم التي تميزت بالتأريخ منذ خلق سيدنا آدم إلى غاية الدول التي يعاصرونها. إذن فقد فهم هؤلاء المؤرخين التاريخ بالمعنى الشامل، فالأفق عالمي وليس قبلي. وقد برز وعيهم من خلال استعمال الرحلة لطلب الخبر التاريخي من مصادره غير معملين ما كتبه رواد السيرة والنساب والمغازي، معتمدين على منهج الرواة والحديث أحيانا، وميزت عناوينهم ظهور مصطلح "التاريخ" بدل أخبار، مغازي، أنساب، سير، أيام...

لقد ميز بداية القرن الثالث اثنان من الأدباء المؤرخين هما ابن قتيبة صاحب كتاب "المعارف" وأبو حنيفة الدينوري (ت282هـ/895م) في كتابه "الأخبار الطوال" وكل منهما تميزت تدوينه بتوظيف الأدب والشعر في الكتابة التاريخية. وبعد منتصف القرن 3هـ/9م ظهرت بدايات التأليف التاريخي بمعناه الأوسع أي الجمع بين مواد مستمدة من السيرة ومن الكتب ومن مصادر غيرها وربطها في سياق تاريخي متصل، والكتاب التاريخي الذي يميز هذه المرحلة إنما هو التاريخ العام يبدأ بخلق آدم ثم يعرض موجزا للتاريخ العالمي على نطاق يتسع أو يضيق تمهيدا لإيراد التاريخ الإسلامي ذاته وليس مفهوم التاريخ العام بجديد بل هو بالأحرى توسيع لفكرة ابن اسحاق، وذلك بإضافة تاريخ المجتمع الإسلامي ومعالجة تاريخ ما قبل الإسلام معالجة أكثر شمولا.

وتتجلى هذه الفكرة لدى خليفة بن خياط (ت240هـ/854م) البلاذري (ت279هـ/892م)، اليعقوبي (ت284هـ/897م)، ومحمد بن جرير الطبري الذي يمثل الخلاصة الحقيقية لمنهج التدوين التاريخي بالرواية الذي كانت فلسفة التاريخ تقف عند رجاله على فكرة وحدة الرسالات ووحدانية العناية الإلهية ويعتبر كتابه "تاريخ الرسل والملوك" تكملة لتفسيره الكبير، ويتميز منهج أهل الحديث بالدقة والتقصي الواسع عن صحة الرواية حتى أن الذين جاءوا بعده لم يتمكنوا من كتابة تاريخ صدر الإسلام بجميع رواياته مكتفين بما صنفه الطبري.

لكن مع بدايات القرن الرابع الهجري افتكَّ أصحاب البلاط وموظفي الدواوين التدوين التاريخي من أيدي المحدثين، وقد أثر هذا التعبير في الشكل والموضوع على السواء، فقد كانت كتابة التاريخ سهلة مسلية لذوي الخبرة من أهل الدواوين والكُتَّاب وكانت المصادر التي يستقون منها أخبارهم هي الوثائق الرسمية والاتصالات الشخصية، لذلك نجد الإسناد اقتصر على أحداث موجزة أو تم الاستغناء عنه تماما عند بعضهم، وجاء السجع مميزا لكتاباتهم النثرية التي هي أسلوب قرآني ميز كتابة الرسائل في العصر الإسلامي. كما احتوت على الكثير من المواعظ والحكم كما هو الحال عند مسكويه في تجارب الأمم وفي كتاب تاريخ تحرر السير للثعالبي. ومع ذلك يبقى المسعودي (ت346هـ/957م) أفضل نموذج مثل هذا القرن من خلال كتاباته العالمية، وموسوعيته التاريخية والجغرافية واستفادته من رحلاته الخاصة لاستيقاء الخبر التاريخي ومع ذلك فهو لم يهمل الإسناد إهمالا تاما بل استخدمه في إيراد الخبر أو إثبات صحته.

ج/– المدرسة العراقية ما بعد القرن 4هـ:

لقد كان للتراجع السياسي الذي عرفته الخلافة العباسية الأثر البالغ على مكانة بغداد كعاصمة لخلافة إسلامية عرفت بطابعها العالمي، لذلك فقد اتجه المؤرخون للاهتمام بتاريخها الفكري والثقافي على حساب التاريخ السياسي المتعلق بها.

وأفضل من عبر عن هذا الاتجاه المؤرخ الخطيب البغدادي (ت463هـ/1020م) في كتابه "تاريخ بغداد" فقد جمع فيه أغلب علمائها وترجم لهم أكثر من جمعه للمعلومات المتعلقة بالتطورات السياسية التي تحدث فيها. ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد اختصره وذيله العديد من المؤرخين في العراق؛ ويبدو أنه ليس الأول الذي من أرخ لبغداد فقد سبقه إلى ذلك مجموعة من المؤرخين خاصة ممن ينسبون إلى القرن 4هـ/10م، واعتمدهم كمصادر لكتابه مثل: بن مهيندار الكسروي له كتاب في وصف خطط وعمران بغداد، كما أن هناك من اقتفى أثره مثل: ابن المارستانية (ت599هـ/1202م) له كتاب: "ديوان الإسلام الأعظم في تاريخ مدينة السلام"، وتميزت القرون التالية بتواريخ المدن والتواريخ المحلية. وتلت بعد ذلك الكتابة العالمية على يد كل من:

- الهمذاني، أبو الحسن بن إبراهيم الفرضي (ت521هـ/1127م) له: تكملة الطبري.
- السمعاني (ت562هـ/1166م) له كتاب الأنساب، ذيل تاريخ بغداد.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م) كتب في مختلف الفنون والمعارف، عرف بكتابه: "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، رغم أن كتابه جاء عالميا في عنوانه لكنه كان بغداديا عراقيا من حيث المضمون.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م) عمل هو وإخوته لدى السلطة في حكومة الموصل في خدمة الأيوبيين، اشتهر في علم الحديث، وعرف بحب التاريخ حتى قال عنه ابن خلكان: "كان حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم لا سيما الصحابة":

اشتهر بكتابه "الكامل في التاريخ" "أسد الغابة في معرفة الصحابة" و"اللباب في تهذيب الأنساب" و"الجامع الكبير" و"تاريخ الموصل".

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد أبو العباس (ت681هـ/1282م) ولد بالموصل قرب العراق، كان قاضيا فقيها سنيا، له "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو من كتب التراجم قال عنه: "مختصر في علم التاريخ" تناول فيه قليل من تراجم الصحابة والخلفاء، وترجم للملوك والوزراء والعلماء والأمراء والشعراء، ولكل من له شهرة وأثبت وفاته ومولده ونسبه.

لقد برزت مدرسة العراق ما بين القرنين 2 و4هـ/8-10م وأفاضت في عطائها وإنتاجها، وتميزت بأصالتها العربية وتكيفها مع الوقائع الجديدة ومتطلبات الدين والسياسة والمجتمع والعلم، ورغم تراجعها ردحا من الزمن إلا أن الحنين إلى المجد القديم وإحياء الخلافة والرجوع ببغداد والعراق إلى المكانة القديمة كان باديا على أفكار المؤرخين المتأخرين.

قائمة المـ ـادر والمراجع:

- النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق البغدادي المعروف بالوراق(ت380هـ/990م): **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، حقوق الطبع محفوظة للمحقق.
- السمعاني، **الأنساب**، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، (دب): الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (دت).
- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب
- مصطفى شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، ط3، بيروت: دار العلم للملايين 1983م، ج1+2+3.
- محمد فتحي عثمان، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط2، بيروت: دار النفائس، 1992م.
- يوسف هورفنتس، **المغازي الأولى ومؤلفوها**، ترجمة حسين نصار، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي 1424هـ/2001م.
- محمد أحمد الترحيني، **المؤرخون والتاريخ عند العرب**، بيروت: دار الكتب العلمية (دت).
- إسماعيل سامعي، **علم التاريخ عند العرب والمسلمين دراسة في المنهاج والمـ ـادر**، قسنطينة: المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية (5) 2013-2014م.
- أيمن فؤاد السيد، **الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المسلمين**، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2017م.
- وجيه كوثراني، **تاريخ التأريخ اتجاهات–مدارس–مناهج**، ط3، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015م.

- آمال محمد عبد الرحمن، الإسرائيليات في تفسير الطبري (دراسة في اللغة والمصادر)، مصر: المجلس الأعلى الشؤون الإسلامية 1422هـ/2001م.
- محي الدين، عبد حسين عرار، **التدوين التاريخي في العـ ر اليوناني و مدر الإسلام**، الأردن: دار الإعصار العلمي، 1437هـ/2016م.

الفهرس

تقديم: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

1/– المعرفة التاريخية عند العرب قبل الإسلام..... **Erreur ! Signet non défini.**

أ– **عرب الشمال:**..... **Erreur ! Signet non défini.**

ب– **عرب الجنوب:** ..... **Erreur ! Signet non défini.**

2/– عوامل نشأة وتطور الفكر التاريخي عند المسلمين:..... **Erreur ! Signet non défini.**

أ/– القرآن والحديث النبوي الشريف: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

ب/–الحديث النبوي الشريف:..... **Erreur ! Signet non défini.**

ج/– الإسرائيليات:..... **Erreur ! Signet non défini.**

3/– مدرسة المدينة المنورة والشام:..... **Erreur ! Signet non défini.**

أ/– مدرسة المدينة: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

ب/– مدرسة التاريخ في الشام: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

4/– مدرسة العراق:.....1

أ/– الرواية التاريخية في البـ رة والكوفة:.....2

أ/1– دور الإخباريين للتأسيس لمدرسة الكوفة والبـ رة: 3

أ/2– النسابة من أهم رواد مدرسة الكوفة والبـ رة: 3

ب/– رواد فكرة التاريخ العالمي:.....5

ج/– المدرسة العراقية ما بعد القرن 4هـ: 6

5/– المدرسة التاريخية الم رية:.....Erreur ! Signet non défini.

قائمة الم ادر والمراجع:.....7

الفهرس 8